نظرة في العلوم العقلية
عند الجاحظ

د. خميس سبع الدليمي
مدير عام دائرة الدراسات والتخطيط والمتابعة

Prespective On Mentality sciences Of Al- Jahedh

Al- still the discourse of the authors, the scientists, the historiens and those involved of faiths and eloquences, he has aspecial sort in authorship of avarious sciences from the holy Quran and prophetic hadith and from Arabs citations, their verses and fictions. So Al-Jahedh is considerd encyclopedic mentality for many of science, besides that his style is scientific and recent he has (٣٦٠) books of thought products; inspite of loss many of his books but what is still staying is filled with knowledge .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر طود شامخ من علماء العرب المسلمين أطل على الحياة في بدء النهضة العلمية في نحو عام ١٥٠هـ وزامن هذه النهضة مدة قرن من السنين توفي عام ٢٥٥هـ ، وقد نهل من العلم وفاض على غيره في البصرة وبغداد وغيرهما . فهو بحق من أعمدة هذه النهضة العلمية ولحد الآن ، وبالرغم من مرور أكثر من اثني عشر قرنا" على وفاته فهو لايزال حديث الأدباء والعلماء والمؤرخين والفلاسفة وأصحاب المذاهب وأمراء البيان، وقد خاض غمار الدرس والتأليف بشتى علوم عصره والتي كانت معروفه في زمانه فهو كاتب له أسلوبه الخاص بالكتابة، وسمي بإسمه أسلوب الجاحظ فهو فيلسوف في الاعتزال وله مؤيدوه وقد وضع مذهبا" في الاعتزال سمي بأسمه . وهو مؤرخ في الأدب جمع شتات الوقائع والحوادث والأحاديث والإشعار العربية والتي قد تعرضت لولاه ولولا كتبه للانقراض . وهو عالم في الحيوان والطبيعة بطريقته الخاصة وهو ناقل عن العرب من مختلف مصادرهم ابتداء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأخبار العرب عن الحيوانات كما جاء ذلك في إشعارهم ورواياتهم وفي آن آخر ينقل أقوالهم واراؤهم وروايـاتهم ولم ينس شيئا" يسأله عنه أبناء عصره ، ويدون مشاهداتهم وتجاربهم وأحاديثهم وهو عالم تجريبي، فقد كان يجري هو وتلاميذه تحت إشرافه بعض التجارب .

فقد يكون الجاحظ مخطئا" ببعض آرائه لكنه مايزال الرائد الأول في كتاباته . كتب الجاحظ (٣٦٠) مؤلفا" وهو بذلك ضرب بسهم كبير من التأليف والإنتاج الفكري مقارنة عن زامنوه وعاصروه . لقد فقدت أكثر كتبه لكن ماتبقى فهو يزخر بالعلم . هذا مادفعني إلى كتابة بحثي الموسوم العلوم العقلية عند الجاحظ وفيه خمسة مباحث المبحث الأول نظرية المعرفة عند الجاحظ ويتضمن

أ . الشك ب . المنطق جـ . الجدل د . التجربة هـ . التلقين و . الإلهام

أما **المبحث الثاني** فهو الجاحظ والترجمة ويشمل :

أ . أنواع الترجمة ب . شروط المترجم

والمبحث الثالث الفلسفة عند الجاحظ ويشمل :

أ . الإنسان ب . العقل ج . النفس

المبحث الرابع علم الكيمياء عند الجاحظ :

أ . الجماد ب . النار جـ : الأجزاء

المبحث الخامس علم الحيوان عند الجاحظ ، ثم الخاتمة وأهم المصادر والمراجع

المبحث الأول

١ ٠ نظرية المعرفة عند الجاحظ : يعتقد الجاحظ المعرفة نوعان :

معرفة حسية ومعرفة عقلية وتختص المعرفة الحسية بظواهر الأشياء ، أما المعرفة العقلية فتكشف عن بواطن الأمور وحقيقتها[١] ، وأن طرق المعرفة متعددة أهمها :

أ . الشك: هو نوع من الحيرة تنتاب الإنسان فيرجأ حكمه في الأمور ، وهو حاله متعبه تسبب الضيق والجهد[٢] تسبق اليقين ومن لايمر بها لايمكن أن يبلغ اليقين والاعتقاد[٣].

ب . المنطق: أعطاه الجاحظ معان متعددة فهو دليل على وسيلة التفاهم حيث قال : ((وللحيوانات منطق تتفاهم به حاجات بعضها البعض . . .)) [٤]

وقد يدل على صناعة علم معين ((ولليونان فلسفه وصناعة منطق))[٥] وهو يعني الكشف مما في الضمير من معاني بواسطة الألفاظ وغيرها من الدلالات . [٦]

يتألف الاستدلال من عنصر من هما المستدل والدليل ، أما المستدل فهو العقل وأما الدليل فهو العيان والخبر ولابد من تضافرهما معا" ليتم الاستدلال وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله : ((فالعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله))[٧] . ويستعمل الجاحظ الاستنباط بمعنى الوصول إلى المعرفة بواسطة البحث والتجربة))[٨] . أما القياس فهو الحكم في المسألة العارضه عن طريق مقارنتها بقضية أخرى تشبهها في التكوين [٩]

جـ . الجدل : ويعني في نظر الجاحظ المناظرة أو المقابلة بين قضيتين أو فكرتين متعارضتين ويعتمد المتناظرون على القدرة الكلامية في إبداء آرائهم والرد علىلا آراء خصومهم . وفي مستلزمات الجدل والبرهان أي الدليل وهو يختلف عن الحجة ، لان الحجة لاتهدف إلى أثبات وجود الشيء لأنه موجود لايحتاج إلى إثبات وإنما التدافع عن

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، جـ١ ، ص٢٠٧.

(٢) م. ن ، ص٢٠٤ .

(٣) م ٠ ت ، جـ٦ ، ص٣٦.

(٤) م ٠ ت ، جـ٧ ، ص ٥٦ .

(٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٤٩ .

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، جـ ٦ ، ص ٦ .

(٧) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق السندوني ، ص١١٨.

(٨) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، كتاب التربيع والتدوير ، تحقيق شارل بلان ، (دمشق – ١٩٥٥م) ، ص٨٧.

(٩) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ٢ ، ص٦٤.

صحته . أما البرهان فيرمي إلى إثبات الشيء الذي يشك في وجوده فنقول إن البرهان على نبوة موسى عصاه . ((وقد جمع الله لموسى عليه السلام في عصاه من البرهان العظام والعلامات الجسام ماعسى أن يفي ذلك بعلامات عده من المرسلين والجماعة والنبيين))[١]

د. التجربة : وهي مجموعة حوادث يتعرض لها الإنسان فيخرج منها بحكم أو قاعدة يمكن تطبيقها على حالات مشابهه في ظروفها ولذلك يقال تجارب الحياة أو تجارب الأمم [٢]، [٢]، ويفرق الجاحظ التجربة بالاستنباط أي استخراج الحكم استنادا" إلى البحث والتنقيب [٣]

هـ . التلقين : أشار إليه الجاحظ وعده من وسائل المعرفة ومن مستلزمات التمرين والتدريب والتدرج . وقد أخذ الجاحظ مثالا" على ذلك : ((القول في أنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بالعربية المبنية على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدرج وكيف صار عربيا" أعجمي الأبوين)) [٤]

و. الالهام : يتحدث الجاحظ عن الوحي الذي يوحى به للانبياء [٥] ثم يذكر المعرفه التي يتوصل اليها الانسان دون مساعدة أحد أي أنه الحد من الذي تخلقه التجربة والامكانات الفكريه للانسان [٦]

أكد الجاحظ أن المعرفة تحصل طباعا" والناس مختلفون في تحصيلها لانهم خلقوا متباينين الطباع مختلفي الفهم والتعلم فمنهم السوي ومنهم المجنون ومنهم الطفل ومنهم الغبي [٧] . أما سبب إختلاف الناس في قدراتهم وطبائعهم هو لان الله وجد في ذلك مصلحتهم ((لان الناس لو لم يكونوا مسخرين بالاسباب المختلفه ، وكانوا مجبرين في الامور المتفقه والمختلفه لجاز أن يختاروا بأجمعهم الملك والسياسة وفي هذا ذهاب العيش وبطلان المصلحة)) [٨]

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٤٣ ، ص٥٢٥

(٢) الجاحظ ، الحيوان، ج١، ص١٣٦

(٣) م.ن ، ج٥، ص١٩٩.

(٤) الجاحظ، البيان والتبين، ج٤، ص٥،

(٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ٤ ، ص ٦

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، جـ٤ ، ص٢٨

(٧) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق السندوني ، ص١٢٥

(٨) م.ن ، ص١٢٦

ويرى الجاحظ ان كل أنسان يملك قدرات معينه لعلم من العلوم أو فن من الفنـــون ، وأن هذه القدرات تكمن فيه كما تكمن الحبوب تحت الارض ، تنتظر الوقت الملائم لتنبـــت وتظهر علاماتها دون أن يكون ذلك خاضعا لادارة الانسان ، وان هذه المقدمات كامنة منذ الولادة وهي لاتخضع لقانون الوراثة . [١]

ألف الجاحظ من الاعتزال كتبا" كثيره ضاع معظمهـــا ومنهـــا : فضـــيلة المعتزلـــه ، الاعتزال وفضله على الفضيلة ، كتاب أحالة القدرة على الظلم ، كتاب إحدوثة العالم ، كتـــاب الاستطاعة وخلف الافعال . [٢]

المبحث الثاني

الجاحظ والترجمة : نشطت حركة الترجمة في الدولة العربية الاسلامية زمن العباسيين لاسيما في خلافة أبو جعفر المنصور لانهم شجعوا الترجمة بسبب أهميتها في نشر الثقافـــة العربيـــة الاسلامية وتوسيعها خاصة بعد أن أختلط العرب بغيرهم من الشعوب مما أوجد فريـــق مـــن الكتاب ليسوا من أصول عربية [٣]

أنواع الترجمة : كانت الترجمة نوعين في الجاهلية هما : [٤] :

أ . **الترجمة الرقمية :** أي وضع كل كلمة في اللغة المترجمة الى مايقابلها في اللغـــة المنقـــول اليها ، وهي طريقة غير موضوعية لان الناقل في هذه الحالة سوف يتـــرك كثيـــرا" مـــن الكلمات الاعجمية على حالها لعدم معرفتها بالكلمات العربية التي تقابلها وفي هذه الحالـــة يصبح الكتاب المترجم ليس عربيا" وليس أعجميا" وبمثـــل هـــذا الاتجـــاه فـــي الترجمـــة يوضأعن البطريق [٥] وابن ناعمه الحمصي [٦] .

ب. **الترجمة** من خلال المعنى حيث يقرأ المترجم جمل الكلام ويجمع المعنى في فكره ثم يعبر عنها بالعربيـــة بكـــــلام مطابق لها فـــي المعنـــى وهـــذه الطريقـــــة

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، جـــ١ ص٢٠١ – ٢٠٢

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ، ص١٠٧ -١٠٩ ، خفاجي ، أبو عثمان ،ص١٤٥-١٤٦ .

(٣) عبد الحميد ، مصطفى ، نظرية الجاحظ في الترجمة ،مجلة المورد ، المجلد الســـابع ، عـــدد ٤ ، عـــام ١٩٧٨م ص٤٣-٤٤

(٤) السندوبي ، ادب الجاحظ ، ص٨٣-٨٤

(٥) أبو يحيى بن البطريق ، كان يجيد اللغه اللاتينية ولكنه ضعف فـــي معرفـــة اللغـــة العربيـــة ، ينظـــر ، السندوبي، أدب الجاحظ ، هامش ، ص٨٣

(٦) هو عبدالمسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي ، المعروف بأبن ناعمه ، كانت ترجمته بمســـتوى الوســـط ، ينظر ، السندوبي ، أدب الجاحظ ، هامش ، ص٨٣

أكثر موضوعية من سابقتها ويمثل هذا الاتجاه في الترجمة حنين أبن الحق والعباس بن سعيد الجوهري [١]

ينتقد الجاحظ طريقة المترجمين ويتهمهم بالكذب والزياده في الكتب والعلوم التي يترجمونها فيقول (وزعمتم إنكم وجدتم الشهب في كتب القدماء من الفلاسفة ٠٠٠٠٠ فأن كنتم بمثل هذا تستعينون وإليه تفزعون فأنا نوجدكم من كذب التراجمة وزيادتهم من فساد الكتاب من جهة تأهيل الكلام ومن جهة جهل المترجم ينقل لغة الى لغة.
ومن جهة فساد النسخ ومن أنه قد تقاوم فأعترضت دونه الدهور والاحقاب فصار لايؤمن عليه ضروب التبديل والفساد وهذا الكلام معروف صحيح)[٢] ٠

٠ **شروط المترجم :** وضع الجاحظ شروطا" يجب توفرها في المترجم لكي يعتمد على ترجمته ومنها :

١ . يجب أن يكون المترجم على اطلاع بيّن في العلم الذي يترجمه اطلاعا" دقيقا" بذلك العلم اضافه الى أطلاعه على خطة المؤلف وتسلسل موضوعاته والنتائج التي توصل اليها وبذلك يقول الجاحظ : (وأذا كان المترجم الذي قد ترجم لايكمل لذلك أخطأ على قدر نقصانه من الكمال وماعلم المترجم بالدليل على شبه الدليل وماعمله بالاخبار النجومية وماعمله بالحدود الخفيه وماعمله بأصلاح سقطات الكلام واسقاط الناسخين للكتب وماعلمه ببعض الخطرقه لبعض المقدمات) [٣] ثم يستمر الجاحظ في تبيان منهج خطة البحث وضروره أطلاق المترجم عليه فيقول : (فقد علمنا أن المقدمات لابد أن تكون أضطرارية ولابد أن تكون مرتبه وكالخيط المحدود وأبن البطريق وأبن قره [٤] لايفهمان هذا موصوفا" منزلا" ومرتبا" ومفصلا" من معلم رقيق ومن صادق طب فكيف بكتاب قد تداولته اللغات واختلاف الاقلام وأجناس خطوط الملل والامم [٥] ٠

---

(١) هو أبو زيد حنين ابن أسحق العبادي ، كان يجيد اللغات اليونانيه والسريانيه واللاتينيه والعربيه ، أشتهر بالطب توفى عام ٢٦٠هـ ، ينظر ، السندوبي ، أدب

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٦، ص٢٨٠.

(٣) الجاحظ ، الحيوان ، جـ١ ، ص٧٨

(٤) أبن قرة ، أسمه ثايت ، طبيب ، حاسي ، فيلسوف ، له مؤلفات عديدة ، ت٢٨٨هـ ، ينظر الجاحظ ، الحيوان ، جـ١ ،هامش ، ص٧٨

(٥) الجاحظ ، الحيوان ، جـ ١ ، ص٧٨ . ياسين خليل ، العلوم الطبقيه عند العرب ، ص٢٢٧

ينتقد الجاحظ ترجمة أبن البطريق لكتاب الحيوان لأرسطو وكان يحمل ابن البطريق أخطاء أرسطو [١] أي أن الاخطاء وجدت بسبب الترجمه فيقول لا ولاأعرف هذا من قول صاحب المنطق ٠٠٠٠ ولعل المترجم قد أساء في الاخبار عنه [٢] .

٢ ٠ يشترط على المترجم أن يكون المامه باللغة التي يترجم لها واللغة التي يترجم عنها متساويا" وواسعا" وبذلك يقول (ولابد للترجمات من أن يكون بيانه في نفس الترجمه في وزن علمه في نفس المعرفه ، ويتبقى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقوله والمنقول اليها حتى يكون فيها سواء وغايه [٣] .

٣ ٠ يجب أن يفهم المترجم أسلوب المؤلف وتعابيره والفاظه وغايته من الكتابه لذلك ينتقد الجاحظ الذين أشتغلوا في الترجمة على عهده مبينا" أنهم كانوا دون مستوى الكتب اليونانية فيقول (أن الترجمان لايؤدي أبداً مقال الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذهبيه ودقائق إختصاراته وخفيات حدوده ولايقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدي الامانة فيها ٠٠٠ فمتى كان رحمه الله تعالى أبن البطريق وأبن ناعمه وأبو قره وأبن فهر وأبن وهيلي وأبن المقفع مثل اربطا طاليس ومتى كان خالد مثل (أفلاطون) . [٤]

٤. أكد الجاحظ على أهمية ثقافة المترجم حتى يكون قادرا" على تغيير معاني الكلمات واشتقاقها وبهذا الصدد يقول : (متى يريد أن يكلم على تصحيح المعاني في الطبائع)[٥]

٥ ٠ ويشترط الجاحظ في مترجم الكتب الدينية أن يكون مطلعا" على مبدأ التوحيد لكي يفهم ماهو جائز وماهو غير جائز فيقول (ويكون ذلك معقودا" بالتوحيد ويتكلم في وجوه الاخبار واحتمالاته للوجوه ويكون ذلك متضمنا" بما يجوز على الله تعالى مما لايجوز ٠

٦ ٠ يؤكد الجاحظ صعوبة ترجمة الشعر العربي الى اللغات الاجنبية بسبب الاوزان الشعرية فيقول (ولو حولت حكمه العرب لبطل ذلك المعجم الذي هو الوزن) [٦] ولكنه يصبح ممكنا" في حالة نقل المعنى على شكل نثر فيقول (فقد وضح أن الكتب أبلغ تعبير المأثر في البيانات والشعر) [٧] .

---

(١) سلوم ، داود ، النقد المنهجي عند الجاحظ ، مطب المعارف ، (بغداد – ١٩٦٠م) ص١٧٧ .

(٢) الجاحظ ، الحيوان ، جـ٢ ، ص٧٨ .

(٣) م.ن ، جـ١ ، ص٧٩ .

(٤) الجاحظ ، الحيوان ، جـ١ ، ص ٧٥-٧٦ .

(٥) م.ن ، ص٧٧.

(٦) الجاحظ ، الحيوان ، جـ١ ، ص ٧٥-٧٦.

(٧) م.ن ، ص٧٧.

المبحث الثالث

الفلسفة عند الجاحظ

لم يكن الجاحظ أول من أهتم بالطبيعة لقد وجدت بذور هذه الفلسفة عند اليونانين وعرض لها كثيرون من معاصري الجاحظ أمثال إبي الهذيل العلاف والنظام وشمامه بن الاشرس وبثر بن المعتمر بيد ان الجاحظ بلغ فيها غاية أبعد .

ففي حين قال هؤلاء المتكلمون المنعزلة بالطبع ليبنوا ان افعال الانسان صنعه . وليس من صنع الله ، فيتخذ الجاحظ من الطبيعة غاية وليس وسيلة فيجعلها موضوعاً للدرس والتأمل في محاولة لسير أمورها واكتشاف قوانينها .

قسم الجاحظ العالم الى قسمين كبيرين هما الناس والجماد [١] وقسم الناس الى حيوان ونبات ، وادخل الانسان في قسم الحيوان [٢] اما الجماد او غير النامي فهو برادق الموت غالبا ً . يوافق الجاحظ ما قاله المفكرون اليونان والعرب من أن الافلاك السماوية تتدرج في سلسلة متواصلة ويتمتع كل منها بما يؤثر كل منها بالاخر ، وهي بالتالي تؤثر في الارض وما عليها من كائنات بحيث تمتد هذه الكائنات الارضية اسباب وجودها في تلك الافلاك [٣] .

تحدث الجاحظ عن ثلاثة امور رئيسية في الفلسفة هي :ــ

١. **الانسان:ــ** عالم صغير لانه يحتوي على جميع الاشكال التي في العالم الكبير ففيه الحواس الخمسة ، وهو يأكل ما تأكل الحيوانات ويتصف بصفاتها ، ففيه صولة الجمل، ووثوب الاسد ، وغدر الذئب ، وروغان الثعلب وجبن القرد، والف الكلب واهتداء الحمام [٤] . وقد سمي الانسان بالعالم الصغير لانه لايستطيع ان يصور كل شيء بيده كما يستطيع ان يقلد كل صوت بفمه ثم ان جسمه يتكون من العناصر التي يتركب منها الكون يعني النار والارض والهواء والماء [٥] .

تبنى الجاحظ تحديد ارسطو للانسان العاقل (الانسان هو الحي الناطق) [٦] اي ان النطق والقدرة على الكلام اهم ميزة يمتاز بها الانسان على الحيوانات فضلا عن ميزة

---

(١) ينظر الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص ٢٦ .

(٢) م. ن، ص ٢٧.

(٣) م.ن، ص ٢٦.

(٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص ٢١٢-٢١٣ .

(٥) م. ن، ص ٢١٢.

(٦) م.ن، ج٧ ، ص ٤٩.

اخرى وهي العقل وهكذا يبدو الانسان للجاحظ حيواناً ولكنه عاقل وناطق ، وكثيرا ما يقارن .

بينهما فيجد ان الجهاز الهظمي متشابهة عند الانسان والكلب [١] كما يلاحظ شبهاً قوياً بين الانسان والقرد في المظهر الخارجي وبعض الصفات النفسية . ومع ذلك يبقى الفرق واضحاً بين الانسان والحيوان وهو يكمن في ((الاستطاعة والتمكن ، وفي وجود الاستطاعة ووجود العقل والمعرفة ، ولايوجب وجودها وجود الاستطاعة))[٢].

ان الفرق بين معارف الانسان ومعارف الحيوان هو انها وليدة الغريزة عند الحيوان بينما هي وليدة الفكر عند الانسان ، وبهذا الصدد يقول الجاحظ ((وانها تدرك ذلك بالطبع من غير روية ويحبس النفس في غير فكرة ليعتبر معتبر ويفكر مفكر .. والانسان ذو العقل والاستطاعة والتصرف والروية اذا علمتم علماً غامضاً وادرك معنى خفيا لم يكد يمتنع عليه مادونه اذا قاست بعض امره على بعض)) [٣]

ب. **العقل** :ــ هو اداة التفكير لدى الانسان وانه هبة من الله منحه اياها دون سائر الحيوانات لعتبر ، ((فلم اعطاه العقل ؟ الا للاعتبار والتفكير)) [٤] اما بصدد وجود العقل فيتردد الجاحظ بين رأيين : رأي يقول إن مركزه والقلب طريق له ، ورأي يقول إن القلب هو مركزه دون الدماغ.[٥] بواسطة العقل يستطيع الانسان من الرؤية الباطنية للامور عكس الحواس التي تزود الانسان بالرؤية . الخارجية لذلك فان العقل اعلى مرتبة تعتمد عليه اكثر من الحواس وبهذا المعنى يقول الجاحظ : ((فلا نذهب الى ما تريك العين واذهب الى ما يُريك العقل . وللامور حكمان ، حكم ظاهر للحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة)) [٦]. ان الجهد الذي يبذله العقل هو التفكير الذي يؤدي الى المعرفة ، واهم طرق التفكير الحدس .

والقياس ، وان العقل ملكة تولد مع صاحبها[٧] . ((قيل لرجل من الحكماء متى عقلت ؟ قال ساعة ولدت . فلما راي افكارهم لكلامه قال : اما انا فقد بكيت حين خفت ، وطلبت الاكل

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

(٢) م. ن، ج٥ ، ص ٥٤٣.

(٣) م.ن، ج٧ ، ص ٧١-٧٢.

(٤) الجاحظ ، الحيوان ج٧ ، ص ٥٤٣.

(٥) الجاحظ ، رسالة التربيع والتدوير ، ص٨٦.

(٦) الجاحظ ، الحيوان ج١ ، ص ٢٠٧.

(٧) ينظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٤،ص١٢٩.

حين جعت ... وسكت حين اعطيت ..)) [١] ويميز الجاحظ بين نوعين هما : العقل الغريزي المطبوع والعقل المكتسب ، الاول يولد مع الانسان وبشكل غريزه واستعداداً طبيعياً اما الثاني فيتكون بالتجربة التي يمر بها الانسان ويكتسب التعلم وبهذا يقول الجاحظ : ((وقد اجمعت الحكماء ان العقل المطبوع والكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال الا بمعاونة العقل المكتسب ومثلوا ذلك بالنار والحطب والمصباح والدهن .

وذلك ان العقل الغريزي والمكتسب ماده وانما الادب عقل غيرك نزيده في عقلك)) [٢]

جـ . النفس : يرى الجاحظ ان النفس من جوهر النسيم او الهواء وحكم النفوس في علاقتها مع الهواء الخارجي الذي يملأ الفضاء حكم الاشعة المتبقية عن قرص الشمس هذه النفوس تغادر الاجسام وتتقطع الى اصلها اي الهواء اذا سدت منافذ الجسم . كما ينقطع الضوء بالطفر الى عنصره من قرص الشمس اذا سدت الكرة التي ينفذ منها الشعاع الى داخل المكان [٣] ان النفس من وجهة نظر الجاحظ مركز الحاجات التي يشعر بها الانسان كالحاجة الى الغذاء والحاجة الى الامن والحاجة الى الجنس والحاجة الى المعرفة ففي النفس قوى تعمل على تلبية هذه الحاجات [٤]

المبحث الرابع

علم الكيمياء عند الجاحظ

ان ابرز الموضوعات التي تحدث عنها الجاحظ في هذا العلم هي: (الجماد ، النار ، الجزء)

أ. الجماد : يدل على الموت اي كل ما يخلو من الحياة كالارض ويشذ عن ذلك الماء والنار والهواء ، فهي لاتسمى جماداً ولا موتاً ولا حيواناً على الرغم من خلوها من النمو والحس [٥] ويرى الجاحظ ان هذه العناصر تدخل في تركيب الاجسام ويعترف الجاحظ بان الفلاسفة اليونان قد سبقوه بهذه المعرفة فيقول ((ومنهم الدهرية في زعم ان هذا العلم من اربعة اركان من أرض وهواء وماء ونار وجعلوا الحر والبرد والليلة اعراضاً في هذه الجواهر ...)) [٦]

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ،ج٧،ص٥٦ .

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١،ص٩٦ .

(٣) الجاحظ ، الحيوان ،ج٥، ص ١١٢-١١٣.

(٤) م . ن، ج١ ، ص١٠٨

(٥) الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص ٢٧.

(٦) م . ن، ج٥، ص٤٠.

ب. النار : يعتقد الجاحظ ان النار كامنة في الجسم يمنعها من الخروج بعض الموائع كالرطوبة مثلاً والاحتراف ليس سواء ظهور النار عند زوال مائعها فقط واذا لم يكن في جسم من الاجسام نار كامنة فلا يمكن ان يحذف [١] فالحطب لا يحذف عندما تقترب منه النار وانما يحترق بفضل خروج النار الكامنة فيها والتي لم تكن في البداية على تقي خدها ، فلما إتصلت بنار اخرى قويتا جميعاً على ذلك المانع ، فلما زال المانع ظهرت ، فعند ظهورها تجزأ الحطب . ((فاحراقك للشيء انما هو اخراجك نيرانه منه) [٢] النار حر وضياء ، والضياء دائماً ابيض منير ، ومع ذلك ليس ايضاً لونا لان الالوان وانما عمل الضياء في الالوان هو أنه يميزها ويفصلها .[٣]

ج. الجزء : ينتقد الجاحظ نظرية الجزء الذي لا يتجزأ لان رواد هذه النظرية يقصون في التناقض عندما يزعمون ان ((اقل الاجسام الذي تركيبه من ثمانية اجزاء لاتتجزأ او ستة اجزاء لاتتجزأ يستحيل جسما على طول العالم وعرضه عميقه فانا لو وجدناه كذلك لم نجد بداً من ان نقول : انا لو رفعنا من اوهامنا في ذلك شبرا من الجميع ، فانه كل مقدار ذلك الشبر جزءًا واحداً فقد وجدناه جسماً اقل من ثمانية اجزاء ومن ستة اجزاء وهذا نقض الاصل مع ان البشر الذي رفعناه من اوهامنا فلا بد ان كان جسما ان يكون من ستة اجزاء اومن ثمانية اجزاء وهذا كله فاسد)) [٤]

وقد يستمد الجاحظ من نظرية الجزء الذي لايتجزء فيقول مخاطبا احمد عبد الوهاب ((فلا تزاحم البحار بالجداول والاجسام بالامراض وما لايتناهى بالجزء الذي لايتجزأ)) [٥].

إ ستعمل الجاحظ الجوهر بمعنى المعدن فهو يقول((الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والانيك وغير ذلك)) [٦]

وقد استعمل اللفظة نفسها بمعنى الجسم حيث يقول : (الماء هو جوهر القايل لجميع القوى)[٧] القوى)[٧]

---

(١) م. ن، ج٢، ص٢٠-٢١.

(٢) الجاحظ ، الحيوان، ج٥، ص٢١.

(٣) ينظر م.ن، ص٥٦.

(٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج٥،ص٥٥

(٥) الجاحظ، التربيع والتدوير ، ص٧٢.

(٦) الجاحظ ، الحيوان ،ج١، ص٦.

(٧) م. ن، ج٥، ص٨٩ .

المبحث الخامس

الحيوان عند الجاحظ -

يقول الجاحظ بأن الحيوانات تقسم الى اربعة اقسام هي :((قسم يمشي ، وقسم يطير ، وقسم يسبح، وقسم يزحف على بطنه) والنوع الذي يمشي يتقسم الى أربعة اقسام : ناس وبهائم وسباح وحشرات . والنوع الذي يطير يتقسم الى ثلاثة اقسام : السبع ، والبهيمة، وال . السبع من الطير مايأكل اللحم خالصاً ، والبهيمة منه تأكل الجت خالصاً اما ال فليس من الطير ولكنه يطير[١].

ثم تقسم الحيوانات الى فصيح وأعجم فيقول : ((لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم)) [٢]

ويوضح الجاحظ بأن كل مافي الطبيعة من كائنات تدل على وجود خالق مدبر، وعلى الانسان ان ينظر الى الحيوانات ليستدل من عجيب تكوينها على حكمة الله ووجوده ((وينهانا تعالى ... على هذه المشاركة بين الانسان والحيوان وامتحن ماعندنا بتقديمها علينا في بعض الامور وتقديمنا عليها في اكثر الامور، واراد بذلك ان لايخلينا من حجه ومن النظر الى عبرة والى ما مايعود عند الفكر ، موعظة..))[٣]

ثم يقول بأن أصغر الحيوانات تقدم دليلاً على الخالق وحكمته : ((الا ترى بأن الجيل ليست بأدل على الله من الحصاة ، وليس الطاووس المستحسن بأدل على الله من الخنزير المستقبح ، والنار والثلج وان اختلفنا في جهة :البرودة، والسخونه فأنهما لايختلفان من جهة الدلالة والبرهان)) [٤]

((الجاحظ على ارسطو في بعض ماقاله عن الحيوان من ذلك قوله في كتاب الحيوان : ((وقد ذكر ارسطو طاليس في كتاب الحيوان انه قد ظهر ثور بعد ان خص على بقرة فأحبلها ولم يحك هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالرد على اصحاب النظر ، وتضيق بتصديق هذا الشكل) [٥]

---

(١) الجاحظ ، الحيوان، ج١،ص٢٧-٢٩.

(٢) م.ن، ص٣١.

(٣) الجاحظ ، الحيوان ، حـ ٧، ص ١٠.

(٤) م،ن،ط،ص ٢٠٦

(٥) م.ن،حـ٥، ص ٥٠٢

ينكر الجاحظ كون السمكة لاتبتلع شيئاً الا مع الماء حيث قال :((قال صاحب المنطق ان الضفادع لاتنفق حتى تدخل فكها الاسفل في الماء ... اما قوله ان السمكة لاتبتلع شيئاً من الطعام الاّ ببعض الماء فأي عيان دلّ على هذا ، وهو عسر)) [١]

ولايكتفي الجاحظ بالشلة بما قاله ارسطو وانما يسخر منه احياناً من ذلك قوله : ((وقد اكثر في هذا الباب ارسطو طاليس ، ولم أجد في كتابه على ذلك من الشاهد الاّ دعواه))[٢]

اما فيما يتعلق بسيكولوجيه الحيوان فقد أكد وتسيّر، وهي طبع فيه وتقوم عنده مقام الحقل عند الانسان.[٣]

وعلى الرغم من سيطرة الغريزة على سلوك الحيوانات فأنها قابلة للتعلم كالانسان ، فالحمام له القدرة على الاستدلال والحفظ والالفة الى الاوطان وسيستخدم البريد . ((والدليل على انه يستدل بالفعل والمعرفة والفكر والعناية انه انما يجيء على الغاية على تدريج وتدريب وتنزيل ....)) [٤]

يرى الجاحظ ان معظم الحيوانات تقبل التربية والتأديب عدى الخنزير والذئب .((ان الخنزير يكون اهلياً ووحشياً كالحمير والس مما يعاشر الناس . وكلها لاتقبل الاداب، وان الفهود وهي وحشية تقبل كلها . كما تقبل البوازي والشواهين والصقورة الزرق والبؤبؤ والعقاب وعتاق الارض وجميع الجوارح والوحشيات)) [٥]

ويقول الجاحظ ان صغار الحيوانات اسهل على التأديب من كبارها ((لان الصغير اذا دبّ فبلغ، خرج جنيناً مواكلاً والمسن الوحشي يخلص لك كله حتى يصير أصيد وأنفع وصغار السبع والطير وكبارها على خلاف ذلك وان كان الجميع يقبل الاداب))[٦]

ثم يضيف قائلاً: ان اقدر الحيوانات على التعلم اربعة هي الدب والقرد والفيل والكلب [٧].

ويشير الجاحظ الى ان الحيوانات تملك قدراً من الذكاء الى جانب الغريزة ، وهو قد يتفاوت بين حيوان وآخر ويخص الحيان بالذكاء [٨] ، ويدعي الجاحظ بأن للحيوانات لغة تتفاهم بها ولو انها تختلف عن لغة الانسان فيقول : ((ان للطير منطقاً به)).

---

(١) الجاحظ ، الحيوان، حـ٥، ص ٥٤١.

(٢) م.ن، حـ٦،ص ١٧.

(٣) م.ن،حـ١،ص ٣٦,٣٥.

(٤) الجاحظ،الحيوان،حـ٣،ص ٢١٥.

(٥) الجاحظ، الحيوان، حـ٤،ص .٤٧.

(٦) الجاحظ، الحيوان، حـ٤، ص ٤٧-٤٨.

(٧) م.ن، حـ٦،ص ٣١٦.

(٨) م.ن،حـ٤،ص٩٩

ويرى الجاحظ ان بعض الحيوانات تفهم لغة البشر عندما يكلمونها لاسيما تلك التي تعيش معهم وتألفهم : ((والناس قد يكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنانير وكل ماكان تحتهم من اصناف الحيوان التي قد خولوها وسخرت لهم ...))[1] ويقول الجاحظ بأن بعض الحيوانات تحس بالشر مثل الديك فهو يطلق صباحاً في اوقات معينة من الليل بحيث يستدل من صباحه كما مضى من الليل وكم بقى منه [2].

الخاتـــمة

يتضح لنا ان الجاحظ ذو عقلية موسوعية استمد معلوماته من خلال بحثه في علوم شتى من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن مأثورات العرب واشعارهم ورواياتهم وفسر بعض الاقوال والاشعار والروايات التي وردت فيها معلومات جيدة في اختصاصات متعددة ويقترن اسلوب طرحه للمعلومات وتقديمها من الاسلوب العلمي الحديث وقد جمع معلوماته من علوم واقوال الامم الاخرى واطلع على معالم الترجمة ودكاكين الوراقين ومع كل ماذكرناه عن الجاحظ فالجاحظ سيبقى مدرسة ينهل من علمها جميع الاجيال والله الموفق.

المصـــادر والمراجـــع

(١) الجاحظ، ابو عثمان عمر بن بحر (ت٢٥٥)

- حياة الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون
- البيان والتبيين ، بيروت،لات
- رسائل الجاحظ،المكتب العصرية،بيروت ردت
- التربيع و، تحقيق شارك بلات،دمشق،١٩٠٠

(٢) حكمت نجيب عبد الرحمن

- دراسات في تأريخ العلوم عند العرب،الموصل،١٩٧٧

(٣) خفاجي، عبد المنعم

- ابو عثمان الجاحظ ، دار الكتابة،بيروت،١٩٧٣

(٤) الستروبي ،ادب الجاحظ،مصر،لات

(٥) سلوم،داود،النقد المنهجي عند الجاحظ بغداد،١٩٦٠

(٦) عبد المنعم حميد مصطفى

---

(١) الجاحظ،الحيوان،حـــ٧،ص٢١٨

(٢) ينظر م.ن،حـــ٢،ص٢٤١.

- نظرية الجاحظ في الترجمة ، مجله المورد العدد الرابع ،١٩٧٨

(٧)ياسين خليل

- العلوم الطبيعية عند العرب ،بغداد،١٩٨٠

(٨)ياقوت الحموي ،شهاب الدين عبد الله

- معجم الادباء ،بيروت،دت